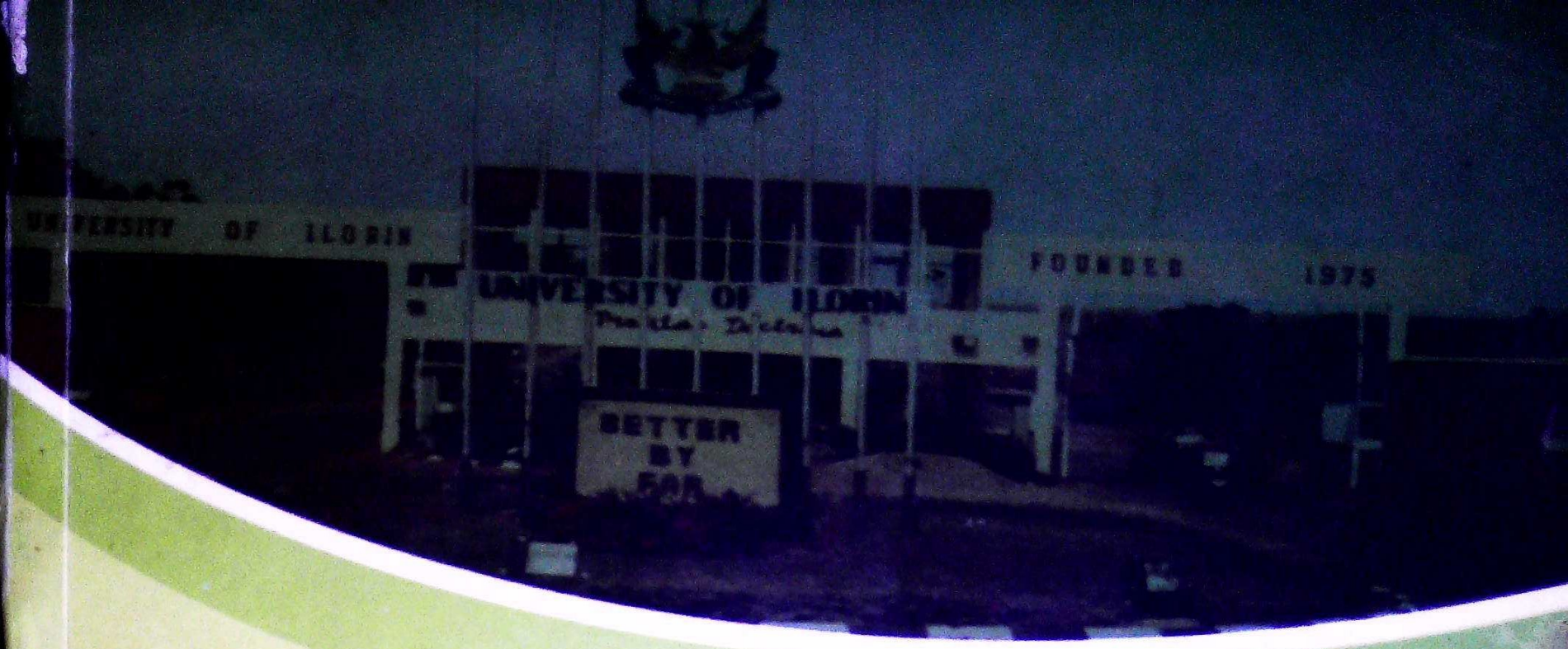


SHAYKH ADAM ABDULLAHI AL-ILORY

in the

Tableau of Immortality

Volume II

Edited by:

Razaq 'D. Abubakre

٥٧

الحياء عند الإلوري مفهومه ومقوماته الأساسية وآثاره

د. عبد الله إبراهيم صلاح الدين

مقدمة:

كثرت النصوص الشرعية التي ترغب المسلمين على التخلق بالأخلاق الفاضلة،ومن بينها خلق "**الحياء**" الذي كان كله خيرا.فقد كان لهذا الحياء معاني لغوية واصطلاحية مختلفة.

وللشيخ آدم عبدالله الإلوري آراء خاصة في مفهوم الحياء ،وبما يتقوّم الحياء من الأخلاق الفرعية ،وما هي أوجه استخادم الحياء.وتأتي هذه الورقة لتوضح هذه المفردات كما يفهمها الإلوري مع تسليط الضوء عليها وعلى مدي توافقها مع أصول الأخلاق الإسلامية بهدف إبراز اسهامات الإلوري في تجديد مفهوم الحياء.

وينتهج الباحث المنهج الوصفي التحليلي في توضيح آراء الإلوري عن هذا الموضوع وتستقى المعلومات حول هذا البحث من آثار الإلوري العلمية الثابتة النسبة إليه وغيرها مما قد يعزز توثيق البحث.

ويتكون البحث من فصلين: الأول :**الإطار النظري** وفيه تعريف الحياء لغة وفي اصطلاح علماء الأخلاق الإسلامية ،وأنواع وبواعث الحياء،والثاني :**الإطار الإجرائي** فيه مفهوم الحياء ومكوناته ،وآثاره ،وأوجه استخدامه عند الإلوري .وتختتم الورقة بخاتمة تشمل ملخص البحث والتوصية والاقتراح مع المصادر والمراجع. وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

الإطار النظري

لعلماء اللغة والأخلاق كلام في الحياء لا يتم هذا البحث على أساس علمي إلا التطرق إليه بما يوضح تعاريفه اللغوية والاصطلاحية وأنواعه أو البواعث منه،كل هذا ليعطي القارئ خلفية نظرية حول الحياء وما ينطوي عليها.

المبحث الأول: الحياء في اللغة العربية.

اشتقت مادة الحياء من الحَياة وهي ضد الموت ،والحَيُّ: ضدُّ الميّت. والمَحْيا المَفْعَلُ من الحياة. تقول: مَحْيَاي ومماتي.والجمع المَحايي،ومنه قوله تعالى: " **{أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى }**[١]

وأَحْيا القومُ، بمعنى أنهم صاروا في الحَيا،وهو الخِصْبُ.ويقال:أتيت الأرض فأَحْيَيْتُها، أي وجدتها خِصبةً.واسْتَحْياهُ واسْتَحْيا منه بمعنى واحد وهما من الحَياءِ. ويقال اسْتَحَيْتُ بياء واحدة، وأصله اسْتَحْيَيْتُ وقال أبو الحسن الأخفش: اسْتَحى بياء واحدة لغة تميم، وبياءين لغة أهل الحجاز، وهو الأصل. ومعنى قوله تعالى: " **{ وَيَسْتَحْيُونَ نساءكم}** [٢]" وقوله تعالى: " **{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً }**[٣] " أي لا يستبقي.

والحَيا، مقصورٌ: المطرُ والخصبُ،والحيا أيضا الملك ويقال: حَيَّاكَ الله، أي مَلَّكَكَ الله. وقولنا في الآذان: حَيَّ على الصلاة، معناه هَلُمَّ وأَقْبِلْ"[٤].

ولهذه المعاني اللغوية يقول ابن قيم الجوزية:"على حسب حياة القلب يكون فيه قوة خُلُق الحياء ،وقلة الحياء من موت القلب والروح، وكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتمّ"[٥]

ويقول غيره: الحياء مشتق من الحياة لأن القلب الحي يكون صاحبه حيا،فإن حياة القلب هي المانعة من القبائح التي قد تفسد القلب[٦]

إذا علمنا هذا فإن للحياء معاني مختلفة يرجع كلها إلى خصية واحدة وهي نبض الحياة، فلو نظرنا إلى المطر مثلا كمعنى من معانيه له خصية الإحياء،وكذلك الخصبة لها خصية الانبات أو الانجاب وقس ذلك على بقية معانيه اللغوية.

المبحث الثاني : الحياء في اصطلاح علماء الأخلاق الإسلاميين

يحمل علماء الأخلاق الإسلامية كلمة الحياء على معانى اصطلاحية مختلفة ،فقد أجرى الشيخ الجرجاني تعريفه للحياء مجرى الاصطلاح حين يقول في كتابه **التعريفات** إن: "الحياء انقباض النفس من شيء وتركه حذرا عن اللوم فيه، وهو نوعان:

الأول: نفساني وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة والجماع بين الناس.

والثاني: إيماني وهو أن يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفا من الله تعالى [٧]

ففي هذا التعريف ما يشترك مع المقصود اللغوي من تعريف الحياء لأن الحياء وازع نفساني أو إيماني يمنع من ارتكاب القبائح.

وقال المناوي في كتابه **التوقيف على مهمات التعاريف** إن: الحياء انقباض النفس عن عادة انبساطها في ظاهر البدن لمواجهة ما تراه نقصا حيث يتعذر عليها الفرار بالبدن. [٨]

يبدو بعد التأمل في هذا التعريف أن الحياء يشترك مع العفة في المدلول لأن العفة هي فضيلة القوة الشهوانية وانقيادها على تيسير وسهولة للقوة العقلية، حتى يكون انقباضها وانبساطها بحسب إشارتها؛ [٩] وأن إخراج النفس من عاداتها بالانقباض لمواجهة ما يقتضي النقص حياء،ولا شك أن ذلك عفة النفس.

وتجدر الإشارة هنا إلى ما يراه أبو حامد الغزالي من أن الحياء ليس خلقا يستقل بوحده بل هو خلق يندرج مع أخلاق أخرى تحت فضيلة العفة ،بمعنى أن العفة من لوازم الحياء لأن الميزان عنده هو أن يكون الحياء وسطا بين الوقاحة والخنوثة. ويورد الغزالي تعاريف أخرى عن حد الحياء منها: أنه ألم يعرض للنفس عند الفزع من النقيصة. ومنها: أنه خوف الإنسان من تقصير يقع فيه عند من هو أفضل منه، ومنها أنه رقة الوجه عند إتيان القبائح، وتحفظ النفس عن مذمومة يتوجه عليها الحق فيها. ويخلص الغزالي إلى القول بأن الحياء يستعمل في الانقباض عن القبح كما يستعمل في الانقباض عمّا يظنه المستحي قبحاً. وأن هذا الأخير لا يليق إلا بالصبيان والنساء وهو مذموم من العقلاء.وأما الأول فهو جميل من كل أحد.[١٠]

ومن كل ما سبق يتبين أن خلق الحياء يشارك كثيرا من الأخلاق الفاضلة في المعنى،غير أن الإفراط أو التفريط فيه مذموم ،والتزام الوسط في مفهوم الحياء أمر يشير إليه الغزالي أنه جميل من كل أحد.

أنواع الحياء وبواعثه .

إذا كان الحياء خلقا لا يستقل بذاته فإن الأخلاق المصاحبة لها شأن في معرفة ما يتكوّن منها الحياء أو ما يعدّ دافعا له أو باعثا منه.

فقد قسم ابن قيم الجوزية الحياء إلى عشرة أنواع طبقا لتقسيم بعض العارفين وهي: حياء جناية ،وحياء تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم ،وحياء حشمة ،وحياء استصغار للنفس واحتقار لها، وحياء محبة ،وحياء عبودية ،وحياء شرف وعزة ،وحياء المستحيي من نفسه.

فيرى أن حياء الجناية: منه حياء آدم عليه السلام لما فر هاربا في الجنة قال الله تعالى : أفرارا مني يا آدم قال : لا يا رب بل حياء منك. وحياء

التقصير: منه حياء الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ،فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك ! ما عبدناك حق عبادتك .وأما حياء الإجلال : هو حياء المعرفة ،لأن على حسب معرفة العبد بربه يكون حياؤه منه. لكن حياء الكرم :فهو مثل حياء النبي صلى الله عليه وسلم من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب ،وطولوا الجلوس عنده ،فقام واستحيى أن يقول لهم : انصرفوا. ويأتي بعده حياء الحشمة : فهو في رأي ابن القيم مثل حياء الذي منع علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المذي لمكان ابنته منه. ومن أنواع الحياء حياء استحقار واستصغار النفس : كحياء العبد من ربه عز وجل حين يسأله حوائجه احتقارا لشأن نفسه واستصغارا لها ،كما في أثر إسرائيلي أن موسى عليه السلام قال : يارب إنه لتعرض لى الحاجة من الدنيا فأستحيي أن أسألك عنها يا رب فقال الله تعالى : سلنى حتى ملح عجينتك وعلف شاتك.

وأما حياء المحبة : فهو حياء المحب من محبوبه حتى إنه إذا خطر على قلبه في غيبته هاج الحياء من قلبه وأحس به في وجهه ولا يدرى ما سببه وكذلك يعرض للمحب عند ملاقاته محبوبه ومناجاته له روعة شديدة.

وأما حياء العبودية : فهو حياء ممتزج من محبة وخوف ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده وأن قدره أعلى وأجل منها فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة. وأما حياء الشرف والعزة فحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء وإحسان فإنه يستحي مع بذله حياء شرف النفس وعزتها. وهذا له سببان أحدهما هذا، والثاني: استحياؤه من الآخذ حتى كأنه هو الآخذ السائل حتى إن بعض أهل الكرم لا تطاوعه نفسه بمواجهته لمن يعطيه حياء منه، وهذا يدخل في حياء التلوم لأنه يستحيي من خجلة الآخذ.

وأما حياء المرء من نفسه : فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقناعتها بالدون فيجد نفسه مستحيا من نفسه حتى كأن له نفسين يستحيي بإحداهما من الأخرى وهذا أكمل ما يكون من الحياء فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر.[١١]

إنما ذكر الباحث هذه الأوجه للحياء ليؤكد أن الحياء خلق له بواعث كثيرة ؛فحياء الجناية مثلا سببه الشعور بالنقص والاعتراف بالذنب كما أن حياء التقصير يسببه العجز عن أداء الواجب كاملا، ومن بواعث الحياء أيضا: العلم ،والمروؤة ،والصدق مع الإخلاص،والتواضع ،وهكذا إلى أن ينتهي إلى أكمل أنواع الحياء في رأي ابن قيم الذي هو حياء المرء من نفسه والذي لو نظرنا إلى الباعث له لا نشك في أنه علوّ الهمة والخوف من الظهور بمظاهر النقص لأن"الإنسان لا يستحيي من الكمال إذا هو ظهر به واتصف بصفاته،وإنما يستحي مما فيه نقص، أو مما يخشى أن يكون فيه نقص.لذلك فالحياء من علو النفس ،وحبها للكمال وحرصها على أن تتصف بصفاته،وتظهر أمام الناس بالمظاهر التي تدل عليه[١٢]

الإطار الإجرائي/التطبيقي

إن للحياء عند الشيخ آدم الإلوري مفهومَه الخاص وإن لهذا المفهوم مقوماتِه الأساسية وتأتي آثاره لتعكس صورة صادقة عن آراء هذا الشيخ حول الحياء .ينظر هنا في رأي الإلوري عن الحياء من حيث المفهوم وما يكوّنه ويعززه من أخلاق فرعية أخرى وما عسى أن يـكون آثارا لهذا الحياء من تصرفات الشيخ وأنشطته المختلفة وخاصة انتاجاته العلمية.

مفهوم الحياء عند الإلوري

إن معرفة ما سطره الإلوري عن الحياء لا يكفي في معرفة رأيه ومفهومه له ما لم ينظر إلى همته التي بها يبيض هذا المسطور والبيئة المحيطة بذلك المكتوب .فإن محاربة تقاليد الجاهلية التي انتشرت في المجتمع الإسلامي في بلاد يوربا من دعائم رسالة الإلوري،حيث يرى الإلوري أن تكميم أفواه العلماء وتحذير الشعور بحجة الحياء والتواضع من أهم ما امتاز به المجتمع الإسلامي في بلاد يوربا[١٣]،وأن زعماء القبائل "يقولون للوعاظ : ماذا تريدون أن تقولوا لنا ونحن نعلم كل شيء ،بل أنتم وآباؤكم تلاميذ لنا ولأبنائنا أو يقولوا [١٤]أنتم عبيدنا وأبناء عبيدنا إن شئنا بعنا وإن شئنا أعتقنا وإن شئنا استرققنا لأن أصل علمكم من عندنا ،وكل من يخالف هذا ويدعو إلى سبيل الرشاد، فهو عندهم قليل الأدب والتواضع،[١٥] فيرى الإلوري أن في هذا المحمل التقليدي خطئا لا بد من إعادة النظر فيه، إذ على كل داع إلى الله أن يحاول تغيير الأوضاع الفاسدة في محيطه، حتى يستحق صفة المجدد التي تطلق على من أصلح ناحية من النواحي الدينية والدنيوية،وهي الغاية الوحيدة عند الإلوري[١٦]. وقد دون رأيه عن الحياء في قصيدة مستقلة، ففيها جاء مفهومه للحياء وما ينطوي عليها الحياء من الأخلاق الفرعية الأخرى.

إن القصيدة التي قرضها الإلورى تحسن تسميتها **بقصيدة الحياء الإلورية** لما لها من شأن في معرفة آرائه عن الحياء .

ففي القصيدة ثلاثة أبيات تحمل رأيه في تعريف الحياء صراحة،وهن الآتية : قال الإلوري:

ويح قومي جهلوا معنى الحياء وأساءوا فيه ختما وابتداء

والحياء الحق أن تسألنـــــي ما يقيك العار عند العقلاء

ويقي من كل فحش وخنا غير هذا لا يسمى بالحياء[١٧]

فكأنما أراد الشيخ الإلوري في أول بيت القصيدة أن يمهد لتعريفه للحياء بنفي ما ترسخ في نفوس العوام بسبب مفاهيم خاطئة ورثوها من الأسلاف المقلدين الجاهليين فأتي بكلمة "**ويح**" كلمة تقال عند الإنكار الذي لا يراد به توبيخ ولا شتم؛ وإنما يراد به التنبيه على الخطأ. ثم كثر استعمالها حتى صارت كالتعجب، ويقولها الإنسان لمن يحب ولمن يبغض.وبهذا البيت ينفي الإلوري كل الخواطر الجاهلية عن المعنى المقصود.

ثم بيَّن في البيتين الأخيرين تعريف الحياء عنده : أن حقيقته هي ما يقي الإنسان من العار ويقيه من كل فحش وخنا حسب المجمع عليه عند عقلاء الناس.

إن الإلوري في تعريفه للحياء لم يشذ عما تواطأ عليه العلماء المسلمون، إذ الانقباض حذرا من اللوم الذي يراه الجرجاني حياء،والانقباض لمواجهة ما تراه النفس نقصا كما يراه المناوي، كلاهما يشتركان في توقي العار واجتناب الفحش والخنا كما يفهمه الإلوري،بل في اختيار الإلوري للكلمات المناسبة ما يحتمل التعريفين على حد السواء ،لأن الانقباض حذرا من اللوم في تعريف الجرجاني من عادات النفس،والانقباض مواجهة للنقص كما هو معلوم من تعريف المناوي من أحوال العقل،فهذا ما هدى الله الإلوري إلى التنبه له باختياره لكلمتي (**العار**) و(**الخنا**)؛إذ إن من أسباب توقي العار الهمة العالية ، وأهم أسباب اجتناب الفحش والخنا العفة.

هكذا يرى الإلوري في الحياء رأيا يخالف عادات.قومه ووافق العلماء المسلمين في تعاريفهم .

مقومات الحياء الأساسية عند الإلوري.

إن الحياء عند الإلوري لم يكن خلقا مستقلا بذاته بل يصاحبه عدد من الأخلاق النبيلة الأخرى مثل التواضع،والهمة العالية ،والعفة ،والجهر بالحق واحترام الغير وكذلك الإخلاص.فهذه الأخلاق المذكورة مما استخرجها الباحث من **قصيدة الحياء الإلورية** التالية:

ويح قومي جهلوا معنى الحياء ... وأساءوا فيه ختما وابتداء
هكذا قد جهلوا التواضعا ... وبنوه في السجود وانحناء
خلع نعل جعلوه واجبا ... لهم قبل وصول[١٨] للفناء
وانبطاح لهم عند السلام ... وبروك لهم عند اللقاء
في مقام الحق أوجبوا السكوت ... وأباحوا الكذب والقول الهراء
والغرور والدعاوي الكاذبة ... صيروها مذهبا للعلماء
علماء السوء من قد ابتلوا ... بطعام وشراب وكساء
قطعت ألسنتهم عند الملوك ... أصبحوا طوعا عبيد الأمراء
كممت أفواههم بالصدقات ... فانبروا يمتدحون الأغنياء
مع هذا يزعمون أنهم ... أفضل الخلق وارثوا الأنبياء
كل من خالفهم في هذه ... وصفوه بالذي منه براء
جعلوه كافرا لدينهم ... واستعدوا لقتال واعتداء
والتواضع الذي نعرفه ... مثل ما في العقل أو شرع السماء
بقبول الحق من كل أحد ... واجتناب جر ثوب الخيلاء
واحترام الغير في حد النهى ... واحتقار الناس[١٩] لا كالحمقاء
والحياء الحق أن تسألني ... ما يقيك العار عند العقلاء
ويقي من كل فحش وخنا ... غير هذا لا يسمى بالحياء[٢٠]

يبين الشيخ آدم الإلوري في هذه الأبيات أن الأغلبية الساحقة من الناس في بلاد يوربا قد أخطئوا خطأ كليا في مفهومهم لمقومات الحياء والتواضع ،خلقان يرتبط بعضهما ببعض الآخر،حيث ظنوا أن السجود والإنحناء لهم، وخلع النعال قبل الوصول إلى فنائهم، والانبطاح عند تحيتهم، والرضى بالسكوت عن الحق عند وجوبه، وإباحة الكذب مع حكايات لا أساس لها من الصحة تبجيلا لشأنهم،والتملق للأمراء والملوك طمعا في أخذ الصدقات منهم، ظنوا أنها من مقتضيات التواضع والحياء.

ولا شك أن أضداد الأخلاق المذكورة (والتي أشار الباحث إليها آنفا) هي ما يعتبرها الإلوري حياء وتواضعا.ولو تساءلنا أيهما الأصل بين الحياء والتواضع؟ لوجدنا أن الحياء يسبق التواضع ويسببه مما يجعلنا نعتبره أصلا تتفرع منه بقية الأخلاق المذكورة.

فإذا عرفنا هذا، عرفنا أن الحياء عند الإلوري يتكون من عدة أخلاق مساندة، ويتقوم بأخلاق أهمها :الـــــتواضع،والهمة العالية ،والعفة ،والجهر بالحق ،واحترام الغير وكذلك الإخلاص.

ومكانة الحياء وفضل مقوماته لا يخفى في الإسلام.لقد روى البخاري في صحيحه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" **دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنْ الْإِيمَانِ**"[٢١].

فبموجب هذا الحديث عرفنا أن الحياء نفسه إن كانت تصاحبه أخلاق نبيلة أخرى فإنه شعبة من شعب الإيمان،فيكون إذن أصله وفرعه كله خيرا.

آثار الحياء وأوجه استخدامه عند الألوري.

لم يكتف الإلوري بمفاهيم ونظريات مجردة بل حاول أن يترجم آراءه في الحياء إلى أرض الواقع،واتخذ في سبيل ذلك عدة خطوات انعكست في جهوده الإصلاحية.

ولقد استحي الإلوري أن يطوي بساط جهود الأوئل الذين كتبوا عن تاريخ بلاد يوربا قبله ،حين اعتبر أعمال أولئك العلماء تمهيدا لا يستغني عنها من يأتي بعدهم. قال في كتابه:**نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا:**

لما جئنا وجدنا الدنيا هينة لينة ،وطوينا أخبار الرواد الأوائل في سجل النسيان كأنهم لم يخلقوا أو لم يكونوا ،وفي هذا الطيّ والنسيان بأس وألف بأس.

أليس من المروءة في الاخلاق ومن الفضيلة في الدين أن ننوه بفضل السابقين الذين كسونا بالرياش والفراش من المجد الذي صنعوه بأيديهم.ولم يلبسوا منه شيئا بل عاشوا وماتوا شبه عراة؟.

أليس من الآداب أن نذكر بخير، الذين حرثوا الأرض وغرسوا حتى أينعت ثمارها وجئنا نحن نأكلها هنيئا مريئا،نركب الفارهة من الخيول والسيارات،ونسكن العالي من القصور وناطحات السحاب ،ونلبس الناعم من الثياب ،ونستظل من

الشمس بالمظلات ، ونأكل الطيب من الطعام
ونشرب البارد من الشراب وعصير الفاكهة ؟

وأخذ الشيخ آدم يذكر بعض الأعمال التي قام السابقون بها حتى استحقوا هذا الذكر الجميل، فقال:

والذين سبقونا بالإيمان والعمل جاهدوا وكافحوا،وأسعدهم في الحياة مَن ركب الحمار والبغال والخيول،وأغناهم ملاً من يتخذ من الأرض في صحن داره تلاً مرتفعا قدر شبر أو شبرين،يفرش عليها الحصير لينام عليها،وإذا جاء المطر كان أول مَن يرحب به في بحبوحة داره.

وقد غلبه الحياء حين رأى في أحوال السابقين ما تدعو إلى تقليل أعمال اللاحقين رغم أن الهدف واحد.ففي ذلك يقول:

والجنة التي وعدها الله المتقين واحدة ،أفلا نسأل أنفسنا تحت النظر في أمرنا وأمرهم،أيّ مثل الجنة التي يدخلونها؟وأيّ مثل الجنة التي ندخل نحن! أفلا نخشى أن يقال لنا{ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا** }[٢٢]،لذلك كله تقدمت إلى ما يخفف ضميري..[٢٣]

هذه صورة من الحياء عند الإلوري ،وهو في الحقيقة حياء الكرم والتواضع والاحترام،وهو لون من ألوان الحياء،وقد استخدمه وطبقه الإلوري على اعتراف بجميل السابقين الذين قدموا أعمالا يُشكَرون عليها من تدوين أخبار بلاد يوربا.وهذا ما يشير إليه في القصيدة حين يقول:

المقصود من تعبيري ،ولو لم يؤد المعنى بالبيان التام[٢٨]

يلاحظ الباحث أن هذه العبارة فيه لون آخر للحياء استصغاري أو احتقاري، فالإلوري فيما علم من انتاجاته العلمية أنه لا يقل مستواه عن مستوى كتّاب الشرق الذين لهم الملكة العربية بالسليقة ،وقد شارك الألوري في المؤتمرات على مستوى العالم العربي بأوراق قيمة مكتوبة باللغة العربية وله مؤلفات تشهد له بالتقدم في اللغة العربية، وهو بضاعة الأزهري التي ردت إليهم في طباعة مؤلفاته،بل قد شهد له بذلك أول سفير مصر إلى نيجيريا،الأستاذ عثمان نوري سنة ١٩٦٤م بقوله: ولست أشك في أن الحاج آدم كفء لهذه الرسالة السامية،فقد اجتمع له إلى جانب الغيرة الدينية التي لا بد منها للعاملين في هذا الحقل علم بالقرآن ولغة القرآن وعلوم القرآن،ونية صادقة في التخلق بأخلاق القرآن[٢٩] .فلا ينبغي الشك بعد هذه المؤهلات وتلك الشهادات الزكية أن الإلوري صاحب ملكة لغوية عالية.أما أن يصدر ممن له هذا التفق العلمي واللغوي تعبير يشعر بعدم القدرة على حسن الآداء اللغوي ،فإنه حياء يقصد به عدم التعالي والتفاخر على بني جنسه.

وأخيرا في هذا البحث يكتب للإلوري بخط عريض حياء آخر هو أشده عليه على الإطلاق وهو وأقوى ما يكون من الحياء، فهو إيبائه الرضى بالنقص وعدم القناعة بالدون،فيجد نفسه مستحيا من التراجع عما عقد العزم المضي فيه .لعل هذا النوع من الحياء يفسر ما للرجل من الشجاعة الأدبية والهمة العالية والعزم الأكيد ما يجعله ينبذ سفاسف الأمور ماستطاع.فللإلوري في هذا النوع من الحياء الحظ الأوفر.

ولقد طبق الإلوري هذا اللون من الحياء على كثير من أحواله منها:ما ذكر أنه كان تساؤل العلماء الذين اتصل بهم -هو-عن أحوال بلاده وتاريخها

أهم ما استرعى انتباهه وأيقظ شعوره بالنقص الذي يعيره من عدم الاهتمام بتاريخ البلاد فقال :"فآليت على نفسي أن أبحث عن هذا التاريخ.." [٣٠]

ولكن شتان ما بين القسم على فعل شيء وبين انجاز المقسوم عليه،فقد لقي الإلوري قبل انجازه لهذا الوعد تحديات تكاد تثنيه عن بلوغ هدفه،ذلك لأنه ابتلي بإنشاء المركز والتدريس فيه والدعوة والإرشاد مما جعله يتردد في الانسحاب من الموضوع لولا أن نفسه تأبى الرضى بالنقص الذي يعيره من عدم اهتمامه بتاريخ بلاده والذي استحي حياء العزم أن يتراجع عنه حتى قال بلسان فصيح"فأكدت العزم على المضي دون تردد وانتكاس" [٣١] وهكذا حتى أنجز الحر ما وعد.

وكان هذا النوع من الحياء كثيرا من أحوال الإلوري والذي يحمله إلى الخوض في الميادين الغريبة وحيدا دون أن يبالي ما فيها من المشقات،فهذا ما يجده الباحث في كتابه "**مصباح الدراسات العربية في الديار النيجيرية**" عند قوله:

" والواقع أني غريب في هذا الميدان وفي هذا المحيط وفي هذا البحث،ولست أبالي حين أجد نفسي غريبا أو شبه وحيد في المنطقة التي أعيش فيها... [٣٢].

هذه صورة تعكس ما لهذا الرجل الهمام من الشجاعة والعزيمة اللتين لا تعريفان الهزيمة في سبيل بلوغ هدفه الدعوي،حتى ترك لنا من الآثار ماتخلد ذكره،فجزاه الله عن أمته والإسلام خير الجزاء.

الخاتمة

يتضح فيما سبق من الحيثيات والتحليلات أن الحياء له معنى لغوي ومعنى اصطلاحي وبين المعنيين قاسم مشترك يتمثل في نبض الحياء الذي به

يصرف الإنسان من ارتكاب القبائح. وقد قسم العلماء المسلمون الحياء إلى عدة أنواع وفقا للبواعث منه مما يدل على أن الحياء خلق لا يستقل بذاته بل تصاحبه أخلاق فرعية أخرى .

ويتضح كذلك أن الحياء عند الشيخ آدم عبد الله الإلوري ليس مجرد كلمة تقال دون معنى،بل له في معناه ومفهومه وبواعثه وآثاره موافقات إسلامية طبقا لما هو المقرر من العلماء المسلمين ومخالفا لما انطبع على أذهان الناس في بلاد يوربا أيام الإلوري ،وله في ذلك قصيدة بيّن فيها مقاصده ومقوماته في الحياء وبه ساهم الإلوري في تجديد آثار الأسلاف السابقين ،وأعرض عن التطفل الذي يجر العار، وتواضع لبني جلدته، ثم غامر وجازف بنفسه حتى أنجز الله به أعمالا يشهد لها هذا المؤتمر العلمي العالمي بقيمتها الغالية.

يوصي الباحث بعد ذلك بالاستفادة من آراء الشيخ آدم عبد الله الإلوري في إثراء الدعوة الإسلامية عامة وإصلاح ما أفسدته التقاليد اليورباوية وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي تسود المجتمع الإسلامي اليورباوي بأساليب تتناسب مع المستجدات العصرية.

وفي الختام لا أنسى أن أقترح للباحثين الآخرين إجراء البحوث العلمية التي تخدم قضايا الأمة الإسلامية اليورباوية من خلال الأعمال العلمية التي خلفها هذا العالم الذي قد ضرب أروع مثالا لمن يريد أن يساهم بفكره في الدعوة الإسلامية في بلاد يوربا.

فجزى الله آدم عبد الله الإلوري خير ما تجزي عالما مخلصا عن إصلاح أمته.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم

الهوامش والمراجع

١ -سورة القيامة آية ١٠.
٢ - سورة البقرة الآية ٤٩
٣ -سوة البقرة الآية ٢٦
٤ - الجوهري ،السماعيل بن حماد ،الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين. - ج١ ص ٢٣٢٤
٥ - ابن قيم الجوزية،محمد بن أبي بكر،مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،تحقيق ناصر بن أحمد بن النجار الدمياطي،الطبعة الأولى ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م، دار العقيدة،مصر. ج٢ ص ١٤-١٥
٦ -إيمان عبد المؤمن سعد الدين،الأخلاق في الإسلام،النظرية والتطبيق،مكتبه الرشد،الطبعة الأولى ١٤٢٤ه-٢٠٠٢م ،مكة المكرمة،ص١٦٩
٧ - الجرجاني،علي بن محمد بن علي ، التعريفات، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الأولى١٤٠٥ه ،تحقيق : إبراهيم الأبياري ج١ ص١٢٦.
٨ - المناوي،: محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، ١٤١٠ه، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دمشق.ص ٣٠٢
٩ - الغزالي ،محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ميزان العمل،مصدر الكتاب: موقع الوراق http://www.alwarraq.com [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع] ص٢٩
١٠ -الغزالي ،محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ميزان العمل،المرجع السابق ص٣٠
١١-ابن قيم الجوزية ،مدارج السالكين،المرجع السابق ج٢ ص١٧-١٨
١٢ -الميداني،عبد الرحمن حسن جنبكة ، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم ،الطبعة الخامسة،١٤٢٠ه-١٩٩٩م،دمشق.ج٢ ص٥٠٦
١٣ - الإلوري ،آدم عبد الله: الدين النصيحة،رسالة تنحصر فيها أهداف المركز العربي ومفهوم دعوته ، مطبعة الثقافة الإسلامية، طبعة سنة ١٤٢٢ه-٢٠٠١م،لاغوس ،نيجيريا.ص ٤٩
١٤ - هكذا في الأصل ،ويراه الباحث "يقولون" بإثبات النون
١٥- الإلوري،آدم عبد الله،نسيم الصبافي أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا،مطبعة الثقافة الإسلامية،١٩٨٦م،أجيجى،نيجيريا. ص٦٥

١٦ - الإلوري،آدم عبد الله ،تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم،مكتبة وهبة،الطبعة الثالثة ١٤٠٨ه-١٩٨٨م،ص٢٢٦.

١٧ -الإلوري ،آدم عبد الله: الدين النصيحة،المرجع السابق ،ص ٥٠

١٨- هكذا في الأصل ،لعله معرّف بـــــــ"أل"

١٩ - هكذا في الأصل ،وأراه "النفس" لأن احتقار النفس يتماشى مع احترام الغير، وهو التواضع .واحتقار الناس ينافي المقصود من البيت.الله أعلم.

٢٠ - الإلوري ،آدم عبد الله: الدين النصيحة، المرجع السابق، ص ٥٠

٢١ - البخاري،أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي ،الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، بتحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.ج١ ص١٤

٢٢ - فتمام الآية{ **وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ** } الأحقاف٢٠

٢٣ -الإلوري،آدم عبد الله، نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا،الطبعة الثالثة ١٤١١ه-١٩٩٠م ،مكتبة وهبة،القاهرة. ص١٠

٢٤- سورة الحشر آية ١٠.

٢٥ - الإلوري،آدم عبد الله،**توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا**،مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى،١٩٧٩م،القاهرة. ص١١٦.

٢٦- هكذا في الأصل،والصواب " **يستعفف** "

٢٧ - الإلوري،آدم عبد الله ،مذكرة بعنوان:مركز التعليم العربي الإسلامي أجيجى،لاجوس،نيجيريا في أربعين عاما ١٣٧١ه-١٤١١ه. ص

٢٨ - الإلوري،آدم عبد الله،الإسلام فينيجيريا و الشيخ عثمان بن فودي الفلاني،الطبعة الثالثة ١٣٩٨ه-١٩٧٨م، ص١٠

٢٩ - الإلوري،آدم عبد الله ،مذكرة بعنوان:مركز التعليم العربي الإسلامي في أربعين عاما،المرجع السابق. ص ٢٠

٣- الإلوري،آدم عبد الله،موجز تاريخ نيجيريا،دار مكتبة الحياة،الطبعة ١٩٦٥م،ص٧.

٣- الإلوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق ،ص٩

٣- الإلوري ،آدم عبد الله،مصباح الدراسات العربية ،الطبعة الثانية ١٩٩٢م،ص٧.

المركز النيجيري للبحوث العربية
مكتب الرياض

The Nigerian Center for Arabic Research
Riyadh Office

الشيخ آدم عبد الله الإلوري في موكب الخالدين

مجموعة بحوث ودراسات علمية عن حياة الشيخ آدم عبد الله الإلوري وأعماله

كلية الآداب، جامعة الورن، نيجيريا

رئيس التحرير

أ.د. عبد الرزاق ديريمي أبوبكر



المجلد الثاني

منشورات المركز النيجيري للبحوث العربية مكتب الرياض
١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م
ISBN 978-977-453-105-3